

وقد لفتت كثرة التشبيهات في شعر امرئ القيس وجودتها أنظار الباحثين القدماء ، حتى لقد أفرد ابن سلام للمستحسن منها فصلا في طبقاته^(١) ، بيد أنه لم يبين نواحي الحسن فيها ذكر ، وإنما اكتفى بسردها ، على نحو يشير إلى كثرتها في شعره كثرة ملفته ، والذي أدها في تلك الكثرة التشبيهية أنها أمارة من أمارات محدودية امرئ القيس ، فقد رأى فيما لديه من معارف بيئته ما يكفي لاستغلاله في تفسير أخيلته وتقديمها إلى الآخرين ، ومن ثم ركز عليها ، ودار في محورها ، حتى لا يرهق نفسه بكبد الخواطر في التصوير والابتسكار وما يتطلبه من طر محص مستقص متبوع ليرسم الصورة من مكنها الحقيقي .

وبلاحظ أن امرأ القيس يستمد تشبيهاته من واقعه المادى المزرف ، ومن بيئته المرية المتحضرة ، بحيث نجد في تشبيهاته البدوى القمح إلى جوار الخضري الطارىء فالمرأة عنده تشبه البقرة الوحشية في جمال عيونها ، وتشبه البضة من روثها ولونها ، وشعرها يشبه عذق النخلة للتداخل في غزارته ، وحصرها كالزمام من اللين ، وترايبها كالمرآة ، وساقها كالبردى من بياضه ، وأصابها كساويك شجر الاسحل . والقرس عنده يشبه مداك المروس ، والصخرة الملساء تسقط من علل ، وحذروف الوليد ، وصراية الحنظل والمقاب وحاصرتاه تشبه خاصرة الطبي ، وسالاه تشبه النماذة . ولم يقف في تشبيهاته عند حد المرأة والقرس فقد شبه دم الوحش الذي لطح صدر فرسه حين صاده بمصارة حناء صبغ بها شيب في قوله :

كأن دماء الهاديات بهجره عصارة حناء بشيب مرجل

شبه قلوب الطير الرطبة بالمناب وقلوبها اليابسة بالتمر الرديء الجاف ، مطروحة أمام وكر العناب بعد أن يأكل لحم الطيور التي يصيدها .

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

* * *